بُنَاة دَوْلَـةِ الإسْلام

٣١

مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ

رضي الله عنه

هُوَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هَاشِمٍ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ عَبْدِ الدَّارِ بنِ قُصَيٍّ بنِ كِلاَبٍ، يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الجَدِّ الخَامِسِ.

قُصَيُّ بنُ كِلاَب

عَبْدُ مَنَافٍ	عَبْدُ الدَّارِ
هَاشِمُ	عَبْدُ مَنَافٍ
عَبْدُ المُطَّلِبِ	هَاشِمُ
عَبْدُ اللَّهِ	عُمَيْرٌ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	مُصْعَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وُلِدَ مُصْعَبُ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ والثَّلاَثِينَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَمْسَةَ عَشَرَ عَاماً.

نَشَأَ مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي أُسْرَةٍ وَرِثَتِ الْمَجْدَ وَالْمَرْكَزَ

لَيْسَ فِي قُرَيْشٍ فَحَسْبُ وَإِنَّمَا بَيْنَ الْعَرَبِ عَامَّةً، إِذْ كَانَتْ بِيَدِهَا ـ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ ـ السِّقَايَةُ[1]، وَالْحِجَابَةُ[2]، وَالرِّفَادَةُ[3]، وَاللِّوَاءُ[4] إِضَافَةً إِلَى دَارِ النَّدْوَةِ[5]، وَذَلِكَ أَنَّ قُصَيَّ بنَ كِلاَبٍ لَمَّا كَبُرَ وَرَقَّ عَظْمُهُ، وَكَانَ عَبْدُ الدَّارِ بِكْرَهُ، وَكَانَ عَبْدُ مَنَافٍ قَدْ شَرُفَ فِي زَمَانِ أَبِيهِ وَذَهَبَ كُلَّ مَذْهَبٍ، قَالَ قُصَيٌّ لَعَبْدِ الدَّارِ: أَمَا وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لأُلْحِقَنَّكَ بِالْقَوْمِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ شَرُفُوا عَلَيْكَ: لاَ يَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْهُمُ الْكَعْبَةَ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ تَفْتَحُهَا لَهُ، وَلاَ يَعْقِدُ لِقُرَيْشٍ لِوَاءً لِحَرْبِهَا إِلاَّ أَنْتَ بِيَدِكَ، وَلاَ يَشْرَبُ أَحَدٌ بِمَكَّةَ إِلاَّ سِقَايَتَكَ، وَلاَ يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْسِمِ طَعَاماً إِلاَّ مِنْ طَعَامِكَ، وَلاَ تَقْطَعُ قُرَيْشٌ أَمْراً مِنْ أُمُورِهَا إِلاَّ فِي دَارِكَ. فَأَعْطَاهُ دَارَهُ (دَارَ النَّدْوَةِ) الَّتِي لاَ تَقْضِي قُرَيْشٌ أَمْراً مِنْ أُمُورِهَا إِلاَّ فِيهَا، وَأَعْطَاهُ الْحِجَابَةَ وَاللِّوَاءَ وَالسِّقَايَةَ وَالرِّفَادَةَ.

وَكَانَت الرِّفَادَةُ خَرْجاً تُخْرِجُهُ قُرَيْشٌ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ مِنْ أَمْوَالِهَا

---

(١) السقاية: يعني سقاية زمزم، وكانوا يصنعون بها شراباً في الموسم للحاج الذي يوافي مكة، ويمزجونه تارةً بعسل، وتارةً بلبن، وتارةً بنبيذ، يتطوعون بذلك من عند أنفسهم.

(٢) الحجابة: أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه.

(٣) الرفادة: إطعام الحجيج في الموسم.

(٤) اللواء: اللواء الذي يحمل في الحرب، ويحمله الذي يتقدّم القوم، ويكون ممن عرفوا بالشجاعة والصبر والثبات.

(٥) دار الندوة: الدار التي يلتقي فيها القوم للمشورة والرأي.

إِلى قُصَيٍّ بن كِلاَبٍ، فَيصْنَعُ بِهِ طَعَاماً لِلْحَاجِّ، فَيأْكُلُهُ مَنْ لَمْ يكُنْ لَهُ سَعَةٌ وَلاَ زَادٌ. وَذَلِكَ أَنَّ قُصيّاً فَرَضَهُ عَلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَمَرَهُمْ بِهِ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ جِيرَانُ اللَّهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَهْلُ الْحَرَمِ، وَإِنَّ الحَاجَّ ضَيْفُ اللَّهِ وَزُوَّارُ بَيْتِهِ، وَهُمْ أَحَقُّ الضَّيْفِ بِالْكَرَامَةِ، فَاجْعَلُوا لَهُمْ طَعَاماً وَشَرَاباً أَيَّامَ الحَجِّ، حَتَّى يَصْدُرُوا عنكم». فَفَعَلُوا. فَكَانُوا يُخْرِجُونَ لِذَلِكَ كُلَّ عَامٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ خَرْجاً فَيَدْفَعُونَهُ إِلَيْهِ، فَيَصْنَعُهُ طَعَاماً لِلنَّاسِ أَيَّامَ مِنَى. فَجَرَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى قَامَ الإِسْلاَمُ، ثُمَّ جَرَى فِي الإِسْلاَمِ، وَهُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يَصْنَعُهُ مَنْ بِيَدِهِ أَمْرُ الأَمَاكِنِ المُقَدَّسَةِ كُلَّ عَامٍ بِمِنَى لِلنَّاسِ حَتَّى يَنْقَضِيَ الحَجُّ. وَكَانَ قُصَيٌّ لاَ يُخَالَفُ، وَلاَ يُرَدُّ عَلَيْهِ شَيءٌ صَنَعَهُ.

وَبعْدَ أَنْ هَلَكَ قُصَيٌّ، وَقَامَ عَبْدُ الدَّارِ بِمَا عَهِدَ إِلَيْهِ أَبُوهُ، وَقَامَ أَوْلاَدُهُ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي عَبْدِ مَنَافِ بن قُصَيٍّ: عَبْدَ شَمْسٍ وَهَاشِماً وَالْمُطَّلِبَ وَنَوْفَلاً أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مَا بِأَيْدِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بن قُصَيٍّ مِمَّا كَانَ قُصَيٌّ جَعَلَ إِلَى عَبْدِ الدَّارِ مِنَ الْحِجَابَةِ واللِّوَاءِ والسِّقَايَةِ وَالرِّفَادَةِ، ورَأَوْا أَنَّهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُمْ لِشَرَفِهِمْ عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ. فَتَفَرَّقَتْ عِنْدَ ذَلِكَ قُرَيْشٌ، فَكَانَتْ طَائِفَةٌ مَعَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى رَأْيِهِمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْ

بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وكَانَتْ طَائِفَةٌ مَعَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَرَوْنَ أَنْ لاَ يُنْزَعُ مِنْهُمْ مَا كَانَ قُصَيٌّ جَعَلَ إِلَيْهِمْ. وَكَادَتْ الْحَرْبُ تَقَعُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ السِّقَايَةَ والرِّفَادَةَ[1]، وأَنْ تَكُونَ الحِجَابَةُ وَاللِّوَاءُ وَالنَّدْوَةُ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا وَرَضِيَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ بِذَلِكَ وَتَحَاجَزَ النَّاسُ عَنِ الحَرْبِ.

---

(١) تسلّم عبد شمس السقاية والرفادة إذ كان أكبر أولاد عبد مناف، ثم تولاّها عنه أخوه هاشم وذلك لأن عبد شمس كان رجلاً سفّاراً قلّما يقيم في مكة، وكان مُقلاً ذا ولد، وكان هاشم موسراً، ويستعين بقريش على إطعام الحاج، وأصابته وأصابت قومه أزمة اقتصادية شديدة، وكره أن يكلّف قريشاً أمر الرفادة، فسافر إلى الشام بجميع ماله فاشترى به جميعه كعكاً، ثم أتى الموسم، فهشم ذلك الكعك كله، ودقّه وصنع منه للحاج طعاماً يُشبه الثريد.
ثم آل أمر السقاية والرفادة إلى المطلب بن عبد مناف،وآلت بعده إلى ابن أخيه عبد المطلب، ثم آلت السقاية إلى العباس أحدث أبناء عبد المطلب سناً، وبقيت بيده حتى جاء الإسلام فأقره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليها.
أما الحجابة فبقيت بيد بني عبد الدار حتى فتح مكة، فدفع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المفتاح إلى عمّه العباس، فنزلت الآية: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ فأخذ الرسول الكريم المفتاح من العباس وأعطاه إلى عثمان بن طلحة الذي أسلم بعد الفتح.
وأما دار الندوة فبقيت بيد بني عبد الدار حتى اشتراها معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، من عكرمة بن عامر بن هاشم وجعلها داراً للإمارة.
وأما اللواء فقد أبطله الإسلام.

أُسْرَةُ مُصْعَبٍ

أُمُّ مُصْعَبٍ هِيَ خُنَاسُ بِنْتُ مَالِكِ بنِ المُضَرِّبِ بنِ وَهَبٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بنِ لؤيٍّ، وكَانَتْ ذَاتَ مَالٍ مَوْفُورٍ وثَرَاءٍ مَعْرُوفٍ، تَكْسُو ابْنَهَا مُصْعَباً أَحْسَنَ مَا يكُونُ مِنَ الثِّيَابِ وأَرَقَّهُ، فَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مكَّةَ، يَلْبِسُ الْحَضْرَمِيَّ مِنَ النِّعَالِ، فَهُوَ أَكْثَرُ فِتْيَانِ مكَّةَ شَبَاباً وَجَمَالاً وَسَبِيباً[1]. وكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ كَثِيراً. وَعِنْدَمَا يَذْكُرُهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ بِمكَّةَ أَحْسَنَ لِمَّةً[2] وَلاَ أَرَقَّ حُلَّةً وَلاَ أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ.

وكَانَ لِمُصْعَبٍ أَخٌ شَقِيقٌ يُكَنَّى أَبَا عَزِيزٍ واسْمُهُ زُرَارَةُ بنُ عُمَيْرٍ، وتَأَخَّرَ إِسْلاَمُهُ، وَشَهِدَ بَدْراً مَعَ المُشْرِكِينَ، وَوَقَعَ يَوْمَئِذٍ أَسِيراً[3].

---

(١) السبيب: شعر مقدمة الرأس التي هي الناصية.

(٢) اللّمة: دون الجمة وهي التي يلم شعرها بالمنكبين.

(٣) فرّق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الاسارى حين أقبل بهم إلى المدينة، فيقول أبو عزيز: مرّبي أخي مصعب بن عمير، ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شدّ يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلّها أن تفتديه منك. قال أبو عزيز: وكنت في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله، صلى الله علية وسلم، إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحني بها، قال: فأستحي فأردهم على أحدهم فيردّها عليّ ما يمسّها.
وسألت أمه عن أكبر فداء كان فقيل لها: أربعة آلاف درهم. فأرسلت ذلك وافتدت ابنها أبا عزيز.

وَلَهُ أَخٌ آخَرُ لأَبِيهِ هُوَ أَبُو الرُّومِ بنُ عُمَيْرٍ، وَكَانَ قَدِيمَ الإِسْلاَمِ، وَهَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ، وَانْتَقَلَ إِلَى المَدِينَةِ مُهَاجِراً بَعْدَ بَدْرٍ، وَشَهِدَ أُحُداً، وَأُمُّهُ رُومِيَّةٌ، وَتُوفِّي وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ.

وَلَهُ أُخْتٌ شَقِيقَةٌ هِيَ هِنْدُ بِنْتُ عُمَيْرٍ تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بنُ طَلْحَةَ أَحَدُ رِجَالاَتِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ شَيْبَةَ الَّذِي آلَتْ إِلَيْهِ حِجَابَةُ الْبَيْتِ.

تَزَوَّجَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ، ابْنَةَ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُمَيْمَةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَهِيَ أُخْتُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، كَانَتْ حَمْنَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَلَمْ تُنْجِبْ، فَتَرَكَهَا وَتَزَوَّجَهَا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، فَأَنْجَبَتْ لَهُ بِنْتاً اسْمُهَا زَيْنَبُ بِنْتُ مُصْعَبٍ، تَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ. وَبَعْدَ أَنِ اسْتُشْهِدَ مُصْعَبٌ فِي أُحُدٍ تَزَوَّجَتْ حَمْنَةُ مِنْ طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ مُحَمَّداً (السَّجَّادَ) وعُمْرَانَ.

إِسْلاَمُ مُصْعَبٍ

بَلَغَ مُصْعَباً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْعُو إِلَى

الإِسْلاَمِ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ، وَدَخلَ دَارَ الأَرْقَمِ بن ِ أَبِي الأَرْقَمِ ، فَسِمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَدَّقَهُ، وَأَسْلَمَ، وَكَتَمَ إِسْلاَمَهُ عَنْ أَهْلِهِ إِذْ كَانَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ لاَ تَزَالُ فِي دَوْرِ الْمَرْحَلَةِ السِّرِّيَةِ، وَعَافَتْ نَفْسُهُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ نَعِيمٍ فَتَرَكَهُ، وَاتَّجَهَ بِحَوَاسِّهِ كُلِّهَا وَجَوَارِحِهِ جَمِيعِهَا إِلَى مَا آمَنَ بِهِ. وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِرّاً خَوْفاً مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ.

رَأَى عُثْمَانُ بنُ طَلْحَةَ أَحَدُ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ مُصْعَباً يُصَلِّي فَأَخْبَرَ أُمَّهُ وَقَوْمَهُ فَحَبَسُوهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُبَالِ بِالسِّجْنِ وَرُبَّمَا زَادَهُ ذَلِكَ تَمَسُّكاً بِمَا آمَنَ بِهِ، وَعَدَّ ذَلِكَ الحَبْسَ خَلْوَةً يَتَأَمَّلُ فِيهَا مَا سَمِعَ، وَيَحْفَظُ مَا تَلَقَّى، وَيُفَكِّرُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ مِنَ الْجَهَالَةِ وَالضَّلاَلَةِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ الْبَيِّنِ وَالنُّورِ الوَاضِحِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا عَلَيْهِ قَوْمُهُ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ حَتَّى كَانَتِ الْهِجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ.

الْهِجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ

عَانَى مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الكَثِيرَ فِي الْحَبْسِ ، وَهُوَ الْفَتَى الَّذِي عَاشَ مُرَفَّهاً لَمْ يَتَعَوَّدْ عَلَى الْخُشُونَةِ وَشَظَفِ العَيْشِ ، وَلَمْ يَتَعَوَّدِ الإِهَانَةَ وَالْقَسْوَةَ فِي الْكَلاَمِ غَيْرَ أَنَّهُ تَحَمَّلَ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ وَاسْتَسْهَلَ الصَّعْبَ وَتَمَرَّسَ عَلَى تَذَوُّقِ الْمُرِّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ خَشِيَ

أَنْ يُفْتَنَ فَمَا أَنْ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ كَيْ يَتَخَلَّصُوا مِمَّا يُعَانُونَ مِنَ الْبَلاءِ حَيْثُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ بَيْنَمَا يَعِيشُ هُوَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعَافِيَةٍ لِمكَانِهِ مِنَ اللَّهِ، وَلِمكَانَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُوَ يَحْرَصُ عَلَيْهِ، وَيَعْمَلُ عَلَى حِمَايَتِهِ، فَمَا أَنْ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الهِجْرَةِ حَتَّى تَفَلَّتَ مُصْعَبٌ مِنْ حَبْسِهِ وَانْخَرَطَ فِي قَافِلَةِ المُهَاجِرِينَ الأُولَى. وَكَانَ فِي الحَبَشَةِ مَلِكٌ رَحِيمٌ لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، فَهُنَاكَ يُمْكِنُ أَنْ يُقِيمَ المُسْلِمُونَ عِبَادَتَهُمْ دُونَ خَوْفٍ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَكُونُوا قَدْ نَجَوْا مِنَ الْعَذَابِ وَمِنَ الإِهَانَةِ، وَفَرُّوا بِدِينِهِمْ خَشْيَةَ الْفِتْنَةِ، وَيَقْتَرِبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي الْغُرْبَةِ، وَيَشْعُرُونَ بِالأُخُوَّةِ الحَقِيقِيَّةِ وَيُمَارِسُونَ وَاقِعَهَا وَيَعِيشُونَ مَعَانِيَهَا فَتَحيَا فِي نُفُوسِهِمْ، وَتَتَرَسَّخُ فِي أَفْئِدَتِهِمْ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي الْهِجْرَةِ إِثَارَةً لِعَاطِفَةِ البُنُوَّةِ وَالْقَرَابَةِ فَيُخَفِّفُ ذَلِكَ مِنْ ضَغْطِ الْجَاهِلِيِّينَ عَلَى ذَوِيهِمْ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الَّذِينَ بَقُوا فِي دِيَارِهِمْ، وَيُثِيرُ حَنِينَ وَشُجُونَ الَّذِينَ هَاجَرَ أَبْنَاؤُهُمْ فَيَتَمَنَّوْنَ عَوْدَتَهُمْ، وَإِذَا عَادُوا أَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ بِهِمْ، بَلْ وَرُبَّمَا كَانَتْ هَذِهِ العَاطِفَةُ سَبَباً فِي تَقْرِيبِ الْجَاهِلِيِّينَ نَحْوَ الإِسْلاَمِ أَو تَلْيِينِ قُلُوبِهِمْ.

وَصَلَتِ القَافِلَةُ الْمُسْلِمَةُ الأُولَى المُهَاجِرَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى

الحَبَشَـةِ، وَعَاشَـتْ هُنَـاكَ آمِنَـةً مُطْمَئِنَـةً بَعِيدَةً عَنْ ظُلْـمِ ذَوِي الْقُرْبَى، مُقِيمَةً لِعَبَادَاتِهَا، غَيْرَ أَنَّ حَيَاتَهَا فِي مُجْتَمَعٍ غَرِيبٍ كَانَ يُقْلِقُهَا وَخَاصَّةً أَنَّ عَدَدَهَا مَحْدُودٌ لاَ يَزِيدُ عَلَى ثَلاَثَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلاً وَلَيْسَ مَعَ بَعْضِهِمْ أَهْلُهُ بَلْ قِلَّةٌ أُولَئِكَ الَّـذِينَ هَاجَـرَتْ نِسَاؤُهُـمْ مَعَهُمْ، هَذَا إِضَافَةً إِلَى نَظَرَاتِ الرِّيبَةِ مِنْ بَعْضِ أُولَئِكَ المُتَعَصِّبِينَ لِنَصْرَانِيَّتِهِمْ دُونَ مَعْرِفَةٍ بِدِينِ هَؤُلاَءِ المُهَاجِرِينَ إِلَيْهِـمْ وَمِـنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ فِي المَعْرِفَةِ. وَيَزِيدُ فِي الْغُرْبَةِ عَدَمُ العِلْمِ بِلُغَةِ الأَحْبَاشِ، وَيَجِبُ أَلاَّ نَنْسَى شَوْقَهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، وَرَغْبَتَهُمْ فِي صُحْبَتِهِ وَالتَّلَقِّي مِنْهُ وَالإِفَادَةِ مِنْ تَوْجِيهَاتِهِ، وَأَخْذِ مَا يَأْتِي بِهِ الوَحْيُ، لِذَا ظَهَرَتْ عِنْدَ بَعْضِهِمْ رَغْبَـةٌ فِي الْعَـوْدَةِ إِلَـى مَرَابِعِهِمْ الأُولَى فِي مَكَّةَ. وَسَرَتْ شَائِعَـةٌ أَنَّ أَهْـلَ أُمِّ الْقُـرَى قَدْ وَافَقُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَفُّوا عَنْ أَذَاهُـمْ، وَمَالُوا إِلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أَنِ انْتَشَرَ الْخَبَرُ حَتَّى رَجَعَ مِنَ المُهَاجِرِينَ إِلَى مَكَّةَ ثَلاَثَةٌ وَثَلاَثُونَ مُهَاجِراً كَانَ مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ بَيْنِهِمْ.

العَوْدَةُ إِلَى مَكَّةَ

عِنْدَمَا وَصَلَ العَائِدُونَ إِلَى مَكَّةَ عَرَفُوا أَنَّ كُلَّ مَا أُشِيعَ لَمْ يَكُنْ صَحِيحاً إِذْ لاَ تَزَالُ قُرَيْشٌ فِي طُغْيَانِهَا وَجَبَرُوتِهَا، وَلَـمْ

يَزَلْ سَادَتُهَا فِي غَيِّهِمْ وَعُتُوِّهِمْ، وَلَمْ يَزَلْ كُبَرَاؤُهَا فِي ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الْعَائِدِينَ إِلَى بَلَدِهِمْ مِنْ دُخُولِهَا إِلاَّ سِرًّا أَوْ بِجِوَارٍ، وَقَدْ دَخَلَ مُصْعَبٌ بِجِوَارِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ، وَقِيلَ بِجِوَارِ أَخِيهِ أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ.

رَجَعَ مُصْعَبٌ مِنَ الْحَبَشَةِ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ، قَدْ خَشُنَتْ يَدَاهُ بَعْدَ نُعُومَةٍ، وَأُدْمِيَتْ قَدَمَاهُ بَعْدَ عِزٍّ، وَشَحُبَ وَجْهُهُ بَعْدَ نَضَارَةٍ، وَهَزُلَ جِسْمُهُ بَعْدَ نَعِيمٍ، وَرَثَّتْ ثِيَابُهُ مَعَ الزَّمَنِ فَرَثَتْ أُمُّهُ لِحَالِهِ، وَكَفَّتْ عَنْهُ مِنَ الْعَذْلِ.

وَأَكْثَرَ مُصْعَبٌ مِنَ اللِّقَاءِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ يَتَعَلَّمُ وَيُطَبِّقُ مَا يَتَلَقَّى وَيَجْتَهِدُ حَتَّى غَدَا أُنْمُوذَجًا لِصَحَابَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلَامِ.

وَمَرَّتْ سَنَوَاتٌ سِتٌّ عَلَى مُصْعَبٍ فِي مَكَّةَ مُنْذُ عَادَ مِنَ الْحَبَشَةِ عَاشَ فِيهَا كُلَّ مَا مَرَّ عَلَى الدَّعْوَةِ مِنْ مِحَنٍ، وَشَاهَدَ كُلَّ مَا نَالَهُ إِخْوَانُهُ مِنْ عَذَابٍ، لِذَا كَانَتِ الدَّعْوَةُ تَعِيشُ مَعَهُ فِي كُلِّ جَوَارِحِهِ وَتَبْدُو عَلَيْهِ فِي كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ.

فِي الْمَدِينَةِ

بَعْدَ أَنْ زَادَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ وَثَبَتُوا أَمَامَ الْمِحَنِ

القَاسِيَةِ وَوَقَفُوا فِي وَجْهِ الرِّيحِ العَاتِيَةِ وَأَصْبَحُوا نَوَاةً يُمْكِنُ الاعْتِمَادُ عَلَيْهَا لإِقَامَةِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَبْحَثُ عَنِ المَكَانِ المُنَاسِبِ لِتَأْسِيسِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ فَاتَّجَهَ إِلَى الطَّائِفِ، فَلَمْ يَشَأ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ قَاعِدَةَ الدَّوْلَةِ، وَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَدًّا غَيْرَ طَيِّبٍ، وَكَانَ يَعرِضُ نَفْسَهُ عَلَى القَبَائِلِ فِي المَوْسِمِ عَسَى أَنْ تَتَبَنَّى إِحْدَاهَا العَمَلَ لِلإِسْلاَمِ، فَلَمْ يُرِدِ اللَّهُ ذَلِكَ، فَكَانَ قَوْمُهُ يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القَبَائِلِ الَّتِي لَمْ تُشْرَحْ صُدُورُ رُؤَسَائِهَا لِلإِسْلاَمِ آنَذَاكَ.

وَفِي العَامِ الحَادِي عَشَرَ مِنَ البِعْثَةِ التَقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِنَفَرٍ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَثْنَاءَ المَوْسِمِ بِالعَقَبَةِ فَتَلاَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، وَسَمِعُوا مِنْهُ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ، وَقَبِلُوا دَعْوَتَهُ، وَبَايَعُوهُ عَلَى العَمَلِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ اثْنَي عَشَرَ رَجُلاً، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَرَجَعُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ فَشَا الإِسْلاَمُ فِي دُورِ الأَنْصَارِ، فَأَرْسَلُوا رَجُلاً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَتَبُوا إِلَيْهِ كِتَاباً: ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلاً يُفَقِّهُنَا فِي الدِّينِ وَيُقْرِئُنَا القُرْآنَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ

المدِينة نَزَلَ عَلى أسْعَدِ بن زُرَارَةَ، وَكَان يَأْتِي الأنْصَارَ فِي دُورِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ فَيَدْعُوهُمْ إلى الإِسْلاَمِ وَيُقْرِئُهُمُ القُرْآنَ فَيُسْلِمُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ حَتَّى ظَهَرَ الإِسْلاَمُ وَفَشَا فِي دُورِ الأَنْصَارِ كُلِّهَا وَالْعَوَالِي إلاَّ دُوراً مِنْ أَوْسِ اللَّهِ، وَهِيَ: خُطْمَةُ وَوَائِلٌ وَوَاقِفٌ. وَكَانَ مُصْعَبُ يُقْرِئُهُمُ القُرْآنَ وَيُعَلِّمُهُمْ، ثُمَّ كَتَبَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَأْذِنُهُ أَنْ يُجَمِّعَ بِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُ وَكَتَبَ إلَيْهِ: انْظُرْ مِنَ اليَوْمِ الَّذِي يَجْهَرُ فِيْهِ اليَهُودُ لِسَبْتِهِمْ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ فَازْدَلِفْ إلَى اللَّهِ فِيْهِ بِرَكْعَتَيْنِ وَاخْطُبْ فِيهِمْ. فَجَمَّعَ بِهِمْ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ فِي دَارِ سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، وَمَا ذَبحَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ إلاَّ شَاةً، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَّعَ فِي الإِسْلاَمِ جُمُعَةً.

وَكَانَ حَلِيمَاً هَادِئَاً فِي دَعْوَةِ القَوْمِ حَكِيمَاً فِي سُلُوكِهِ وَتَصَرُّفِهِ، فَخَرَجَ بِهِ يَوْمَاً أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ يُرِيدُ دَارَ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ وَكِلاَهُمَا مِنَ الأَوْسِ. فَدَخَلَ بِهِ حَائِطَاً مِنْ حَوَائِطِ دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، فَجَلَسَا، وَاجْتَمَعَ إلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بنُ مُعَاذٍ وَأُسَيدُ بنُ حُضَيْرٍ، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، وَكِلاَهُمَا عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ لأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لاَ أَبَا

لَكَ، ٱنْطَلِقْ إِلَىٰ هٰذَيْنِ ٱلـرَّجُلَيْنِ ٱللَّـذَيْن قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَـا، لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَـٱزْجُرْهُمَا وَٱنْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَـا، فَإِنَّهُ لَوْلاَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ مِنّي حَيْثُ عَلِمْتُ، كَفَيْتُكَ ذٰلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلاَ أَجِـدُ عَلَيْهِ مَقْدَمـاً، فَأَخَـذَ أُسَيْدُ بْـنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَـلَ إِلَيْهِمَـا، فَلَمَّـا رَآهُ أَسْعَـدُ بْـنُ زُرَارَةَ قَالَ لِمُصْعَبٍ إنْ جَلَسَ فَكَلِّمْهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَان ضُعَفَاءَنَا؟ ٱعْتَزِلاَنَـا إِنْ كَانَـتْ لَكُمَـا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فَقَـالَ لَهُ مُصْعَـبٌ: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَـعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْـراً قَبِلْتَـهُ، وَإِنْ كَرِهْتَـهُ كُفَّ عَنْـكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْـتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَـهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَـا فَكَلَّمَـهُ مُصْعَـبٌ بِـٱلإِسْلاَمِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَقَالاَ فِي نَفْسَيْهِمَا: وَٱللَّهِ لَقَدْ عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ ٱلإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَـنَ هٰذَا ٱلْـكَلاَمَ وَأَجْمَلَـهُ! كَيْفَ تَصْنَعُـونَ كَيْ تَدْخُلُوا فِي هٰذَا ٱلّدِينِ؟ قَالاَ لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلاً إِنِ ٱتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ. وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَـا ٱلآن، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَٱنْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلاً، قَالَ: أَحْلِفُ بِـاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدُ بْـنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ

ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى ٱلنَّـادِي، قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كَلَّمْـتُ ٱلـرَّجُلَيْنِ ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْساً، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالاَ: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ وَذٰلِكَ أَنَّهُـمْ قَدْ عَرَفُـوا أَنَّـهُ ٱبْـنُ خَالَتِـكَ، لِيَخْفِـرُوكَ. قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَباً مُبَادِراً تَخَوُّفاً لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَـةَ، فَأَخَذَ ٱلْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللّٰهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئاً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُمـا سَعْـدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ عَرَفَ سَعْـدٌ أَنَّ أُسَيْداً إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ! أَمَا وَٱللّٰهِ لَوْلاَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ ٱلْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هٰذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَـا بِمَـا نَكْرَهُ، وَقَـدْ قَالَ أَسْعَدُ بْـنُ زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْـنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ! جَاءَكَ وَٱللّٰهِ سَيِّدٌ، مِنْ وَرَائِـهِ قَوْمُـهُ، وَإِنْ يَتْبَعْـكَ لاَ يَتَخَلَّفْ عَنْكَ مِنْهُـمُ ٱثْنَـان. فَقَـالَ لَهُ مُصْعَـبٌ: أَوَ تَقْعُـدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ. وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْـتَ ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَـهُ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ ٱلإِسْلاَمَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ، قَالاَ: فَعَرَفْنَا وَٱللّٰهِ فِي وَجْهِهِ ٱلإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِنْ أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هٰذَا ٱلدِّينِ؟ قَالاَ:

تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِداً إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلاً قَالُوا: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدُ بِغَيْرِ ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي مِنْكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا، وَأَوْصَلُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْياً، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ، كَلاَمَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه. فَمَا أَمْسَى فِي دَار بَنِي عَبْدِ الأَشْهَل رَجُلٌ وَلاَ آمْرَأَةٌ إلاَّ مُسْلِمٌ وَمُسْلِمَةٌ.

وَبعْدَ أَنْ أَسْلَمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آنْتَقَلَ مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ إِلَى بَيْتِهِ ٱلَّذِي أَصْبَحَ ٱلْمَرْكَزَ ٱلإِسْلاَمِيَّ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَقَدْ بَدَأَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُمَا سَيِّدا ٱلأَوْسِ يَوْمَئِذٍ، يَكْسِرَانِ أَصْنَامَ قَبِيلَتِهِمَا.

وَخَرَجَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ مِنَ المَدِينَةِ مَعَ السَّبْعِينَ الَّذِينَ وَافَوْا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ حَاجِّ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَرَافَقَ أَسْعَدَ بنَ زُرَارَةَ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ، فَقَدِمَ مَكَّةَ فَجَاءَ مَنْزِلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوَّلاً وَلَمْ يَقْرُبْ مَنْزِلَهُ، فَجَعَلَ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الأَنْصَارِ وَسُرْعَتِهِمْ إِلَى الإِسْلَامِ. فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكُلِّ مَا أَخْبَرَهُ.

مُصْعَبٌ مَعَ أُمِّهِ

وَبَلَغَ أُمَّ مُصْعَبٍ أَنَّ ابْنَهَا قَدْ قَدِمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ: يَا عَاقُّ أَتَقْدُمُ بَلَداً أَنَا فِيْهِ لاَتَبْدَأُ بِي؟ فَاسْتَعْلَى بِإِيمَانِهِ وَتَذَكَّرَ حُبَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا حَتَّى مِنْ نَفْسِهِ فَأَجابَ أُمَّهُ: مَا كُنْتُ لأَبْدَأَ بِأَحَدٍ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا أَخْبَرَهُ ذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ: إِنَّكَ لَعَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَأَةِ بَعْدُ! قَالَ: أَنَا عَلَى دِينِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الإِسْلَامُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَلِرَسُولِهِ، قَالَتْ: مَا شَكَرْتَ مَارَثَيْتُكَ مَرَّةً بِأَرْضِ الحَبَشَةِ وَمَرَّةً بِيَثْرِبَ، فَقَالَ: أُقِرُّ بِدِينِي إِنْ تَفْتِنُونِي. فَأَرَادَتْ حَبْسَهُ فَقَالَ: لَئِنْ أَنْتِ حَبَسْتِنِي لأَحْرِصَنَّ عَلَى قَتْلِ مَنْ يَتَعَرَّضُ لِي، قَالَتْ: فَاذْهَبْ لِشَأْنِكَ. وَجَعَلَتْ

تَبْكِي، فَقَالَ مُصْعَبٌ: يَا أُمَّهْ إِنِّي لَكِ نَاصِحٌ عَلَيْكِ شَفِيقٌ فَاشْهَدِي أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَتْ: وَالثَّوَاقِبِ لاَ أَدْخُلُ فِي دِينِكَ فَيُزْرَى بِرَأْيِي وَيُضَعَّفُ عَقْلِي وَلَكِنِّي أَدَعُكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَأُقِيمُ عَلَى دِينِي. فَغَادَرَ مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أُمَّهُ وَهُوَ خَائِفٌ عَلَيْهَا مِنَ النَّارِ، مُتَضَايِقٌ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَمُعَادَاةِ الإِسْلاَمِ، وَانْتَقَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَقَامَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَكَّةَ بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَصَفَرَ وَقَدِمَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِراً لِهِلاَلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِاثْنَتَيْ عَشَرَةَ لَيْلَةً.

وَعِنْدَمَا آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ آخَى بَيْنَ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ وَسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَيُقَالُ: بَيْنَ مُصْعَبٍ وَأَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، وَيُقَالُ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَكْوَانَ بنِ عَبْدِ قَيْسٍ.

فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى بَدْرٍ بَعْدَ أَنِ انْتَدَبَ المُسْلِمِينَ لِلْخُرُوجِ إِلَى عِيرِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ فِي طَلِيعَةِ المُنْطَلِقِينَ وَيَحْمِلُ لِوَاءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا رَايَةُ المُهَاجِرِينَ فَكَانَتْ مَعَ عَليٍّ بنِ أَبي طَالِبٍ، وَرَايَةُ الأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، وكَانَتْ مَشِيئَةُ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ اللِّقَاءُ مَعَ جيْشِ قُرَيْشٍ، وَأَنْ تَنْجُوَ العِيرُ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ فُرْقَاناً بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ انْتَصَرَ فِيهَا الحَقُّ وَأَهْلُهُ وَانْدَحَرَ البَاطِلُ وَأَصْحَابَهُ. وَخَلَّفَ الْمُشْرِكُونَ سَبْعِينَ قَتِيلاً مِنْهُمْ فِي سَاحَةِ المَعْرَكَةِ، كَمَا تَرَكُوا مِثْلَهُمْ مِنَ الأَسْرَى وَقَعُوا بِأَيْدِ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ بَيْنَ هَؤُلاَءِ الأَسْرَى شَقِيقُ مُصْعَبٍ، وَهُوَ أَبُو عَزِيزِ بنُ عُمَيْرٍ الَّذِي أَخَذَ لِوَاءَ المُشْرِكِينَ بَعْدَ أَسْرِ النَّضْرِ بنِ الحَارِثِ الَّذِي كَانَ بِيَدِهِ اللِّوَاءُ مِنْ قَبْلُ.

لَقَدْ أُسِرَ أَبُو عَزِيزٍ مِنْ قِبَلِ أَبِي اليَسَرِ أَحَدِ رِجَالِ الأَنْصَارِ، وَيَرْوِي أَبُو عَزِيزٍ قِصَّةَ أَسْرِهِ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ فَيَقُولُ: مَرَّ بِي أَخِي مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ مُصْعَبُ لِلأَنْصَارِيِّ: شُدَّ يَدَيْكَ بِهِ؛ فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ لَعلَّهَا تَفْدِيه مِنْكَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَخِي، هَذِهِ وَصَاتُكَ بِي؟ فَقَالَ مُصْعَبٌ:

إنَّهُ أَخِي دُونَكَ[1] !!

فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمُسْلِمِينَ إلَى أُحُدٍ، وَسَلَّمَ اللِّوَاءَ إلَى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ، وَتَقَدَّمَ المُسْلِمُونَ، وَكَانَ لَهُمُ النَّصْرُ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ، ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَةُ فَانْهَزَمُوا لِمُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَمحِيصاً لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَابْتِلاَءً، وَمَعْرِفَةً لِلصَّابِرِينَ، وَقَاتَلَ مُصْعَبٌ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ،

(١) فالقرابة والمودة في الإسلام لا تقومان على صلة الجنس أو الدم أو أية صلةٍ ماديةٍ وإنما تقومان على العقيدة يقول تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . . .﴾ المجادلة الآية ٢٢.
والحبّ قائم بين المسلمين، ومن الإيمان وجوب محبة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين». متفق عليه.
وروى عبدالله بن هشام قال: كنا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحبّ إليّ من كل شيءٍ إلا نفسي، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن لأنت أحبّ إليّ من نفسي، فقال النبيّ، صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر» رواه البخاري.

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بـنُ عَوْفٍ، وَكَعْبُ بـنُ مَالِكٍ، وَسَعْدُ بـنُ مُعَاذٍ، وَأُمُّ عُمَارَةَ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ الَّتِي قَالَتْ «خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَمَعِي سِقَاءٌ فِيْهِ مَاءٌ فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، وَالدَّوْلَةُ وَالرِّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا انْهَزَمَ المُسْلِمُونَ انْحزْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَقُمْتُ أُبَاشِرُ القِتَالَ، وَأَذُبُّ عَنْهُ بِالسَّيْفِ، وَأَرْمِي عَنِ القَوْسِ، حَتَّى خَلَصَتِ الجِرَاحُ إليَّ! فَلَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقْبَلَ ابنُ قَمِيئَةَ يَقُولُ: دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا، فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وَأُنَاسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَاتٍ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعَانِ»[1]. وَقَتَلَ ابنُ قَمِيئَةَ ـ قَبَّحَهُ اللَّهُ ـ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ. وَرُوِيَ أَنَّ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ حَمَلَ اللِّوَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلمَّا جَالَ المُسْلِمُونَ ثَبَتَ بِهِ مُصْعَبٌ فَأَقْبَلَ ابنُ قَمِيئَةَ، وَهُوَ فَارِسٌ، فَضَرَبَ يَدَهُ اليُمْنَى فَقَطَعَهَا وَمُصْعَبٌ يَقُولُ: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، وَأَخَذَ

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٨٧.

اللِّـوَاءَ بِيَدِهِ اليُسْرَى، وَحَنَـا عَلَيْهِ، فَضَـرَبَ يَدَهُ اليُسْـرَى فَقَطَعَهَا، فَحَنا عَلَى اللِّوَاءِ وَضَمَّهُ بِعَضُـدَيْهِ إلَـى صَدْرِهِ وَهُـوَ يَقُولُ: وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِـهِ الرُّسُلُ. ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ الثَّالِثَةَ بِالرُّمْحِ فَأَنْفَذَهُ وَانْدَقَّ الرُّمْحُ وَوَقَعَ مُصْعَبُ وَسَقَطَ اللِّوَاءُ، وَابْتَدَرَهُ رَجُلاَنِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ: سُوَيْبِطُ بنُ سَعْدِ بنِ حَرْمَلَةَ وَأَبُو الرُّومِ بنُ عُمَيْرٍ، فَأَخَذَهُ أَبُو الرُّومِ بنُ عُمَيْرٍ فَلَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ حَتَّى دَخَـلَ بِهِ المَدِينَـةَ حِينَ انْصَـرَفَ المُسْلِمُونَ[1].

قَتَلَ ابنُ قَمِيئَةَ ـ قَبَّحَهُ اللَّهُ ـ مُصعَبَ بنَ عُمَيْرٍ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَ إلـى قُرَيْشٍ فَقَالَ: قَتَلْتُ مُحَمَّداً. فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللِّوَاءَ عَلِيَّ بـنَ أَبِـي طَالِـبٍ، وَقَاتَلَ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَرِجَالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ[2].

وَرَوَى رَبِيعَةُ بـنُ الحَارِثِ بـنِ عَبْدِ المُطَّلِـبِ فَقَـالَ: أَعْطَـى رَسُـولُ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، يَوْمَ أُحُـدٍ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ اللِّوَاءَ فَقُتِلَ مُصْعَبٌ فَأَخَذَهُ مَلِكٌ فِي صُورَةِ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء الثالث.
(٢) سيرة ابن هشام الجزء الثالث.

مُصْعَبٍ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لَهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ: تَقَدَّمْ يَا مُصْعَبُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ المَلَكُ فَقَالَ: لَسْتُ بِمُصْعَبٍ: فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ مَلَكٌ أُيِّد بِهِ[1].

وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ وَهُوَ مُنْجَعِفٌ عَلَى وَجْهِهِ فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[2]. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّكُمُ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ زُورُوهُمْ وَأْتُوهُمْ وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ مُسَلِّمٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلاَّ رَدُّوا عَلَيْهِ السَّلاَمَ[3].

وَقَالَ خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ فَمِنَّا مَنْ مَضَى وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ شَيْءٌ يُكَفَّنُ فِيهِ إِلاَّ نَمِرَةً،

---

(١) الطبقات الكبرى.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٣.
(٣) الطبقات الكبرى.

فَكُنَّا إذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رَأْسِهِ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ وَإِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اجْعَلُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا[1].

كَانَ مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقِيقَ الْبَشَرَةِ حَسَنَ اللِّمَّةِ لَيْسَ بِالقَصِيرِ وَلاَ بِالطَّوِيلِ، اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَثَلاَثِينَ شَهْراً مِنَ الهِجْرَةِ، وَهُوَ ابنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ يَزِيدُ شَيْئاً، فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي بُرْدَةٍ مَقْتُولٌ فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُكَ بِمَكَّةَ وَمَا بِهَا أَحَدٌ أَرَقُّ حُلَّةً وَلاَ أَحْسَنُ لِمَّةً مِنْكَ، ثُمَّ أَنْتَ شَعِثُ الرَّأْسِ فِي بُرْدَةٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْبَرَ فَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ أَخُوهُ أَبُو الرُّومِ بنُ عُمَيْرٍ، وَعَامِرُ بنُ رَبِيعَةَ، وَسُوَيْبِطُ بنُ سَعْدِ بنِ حَرْمَلَةَ.

ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَاجِعاً إِلَى المَدِينَةِ، فَلَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَلَمَّا لَقِيتِ النَّاسَ نُعِيَ إِلَيْهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا خَالُهَا حَمْزَةُ بنُ عَبْد المُطَّلِبِ فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا زَوْجُهَا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ،

---

(١) المصدر نفسه.

فَصَاحَتْ وَوَلْوَلَتْ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ زَوْجَ المَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ!

كَانَ مُصْعَبُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَفْضَلِ الرِّجَالِ أَخْلاَقاً تَأَدَّبَ بِآدَابِ الإِسْلاَمِ وَتَخَلَّقَ بِأَخْلاَقِ أَهْلِهِ، يَقُولُ عَامِرُ بنُ رَبِيعَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ لِي خِدْناً وَصَاحِباً مُنْذُ يَوْمَ أَسْلَمَ إِلَى أَنْ قُتِلَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِأُحُدٍ خَرَجَ مَعَنَا إِلَى الْهِجْرَتَيْنِ جَمِيعاً بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ رَفِيقِي مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَرَ رَجُلاً قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ خُلُقاً وَلاَ أَقَلَّ خِلاَفاً مِنْهُ.

وَكَانَ مُصْعَبُ مُنْعَماً جِدّاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبَاعَ النَّعِيمَ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَاشَ عَلَى الْكَفَافِ. أَقْبَلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ قِطْعَةُ نَمِرَةٍ قَدْ وَصَلَهَا بِإِهَابٍ قَدْ رَدَّنَهُ ثُمَّ وَصَلَهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا رَآهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَكَسُوا رُؤُوسَهُمْ رَحْمَةً لَهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يُغَيِّرُونَ عَنْهُ، فَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحْسَنَ عَلَيْهِ الثَّنَاءَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ لِيُقَلِّبُ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، لَقَدْ رَأَيْتُ هذَا، يَعْنِي مُصْعَباً، وَمَا بِمَكَّةَ

فَتَىً مِنْ قُرَيْشٍ أَنْعَمُ عِنْدَ أَبَوَيْهِ نَعِيماً مِنْهُ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّغْبَةُ فِي الخَيْرِ فِي حُبٍّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ وَإِمَامِ المُتَّقِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْدُ:

فَإِنَّ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ شَاعِرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، كَانَ لَهُ دَوْرُهُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ بِسَيْفِهِ أَمْ بِلِسَانِهِ، إِذْ شَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا سِوَى بَدْرٍ وَتَبُوكَ، وَعَاشَ بِجَوَارِحِهِ كُلِّهَا مَعَ الدَّعْوَةِ حَيْثُ كَانَ يَذْكُرُ الحَرْبَ فِي شِعْرِهِ وَيَقُولُ نَفْعَلُ وَنَفْعَلُ وَيَتَهَدَّدُ الكُفَّارَ، وَيَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وَيَرْثِي شُهَدَاءَ المُسْلِمِينَ. وَإِذَا كَانَ قَدْ بَرَزَ فِي شِعْرِهِ وَجِهَادِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ كَذَلِكَ فِي بَيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَأَخَذَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ السِّيَرِ أَحْدَاثَهَا عَنْهُ، وَكَانَ مِنَ المُخَلَّفِينَ الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ تَابَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَوَرَدَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَكْثَرَ الَّذِي حَفِظَ اسْمَهُ وَخَلَّدَ ذِكْرَهُ.

وَعَاشَ طَوِيلاً، وَأَنْجبَ الأَوْلاَدَ الَّذِينَ رَوَوْا عَنْهُ، إِذْ كُفَّ بَصَرُهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فَكَانَ وَلَدُهُ يَقُودُهُ وَيَسْمَعُ مِنْهُ أَحْدَاثَ أَيَّامِهِ وَمَا جَرَى مَعَهُ، فَكَانَ ابْنَهُ السِّجِلَّ الَّذِي حَفِظَ الكَثِيرَ مِنْ سِيرَةِ ذَلِكَ الصَّحَابِيِّ وَأَخْبَارِهِ.

فَأَرْجُو أَنْ أُوَفَّقَ فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ صَادِقَةٍ عَنْ حَيَاةِ كَعْبِ بن مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

أُسْرَتُهُ

هُوَ كَعْبُ بْنُ مَالِكِ بنِ أَبِي كَعْبٍ عَمْرِو بنِ القَيْنِ بنِ كَعْبِ بنِ سَوَادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْب بنِ سَلَمَةَ، الخَزْرَجِيُّ.

وَبَنُو سَلَمَةَ أَحَدُ بُطُونِ الخَزْرَجِ المَعْرُوفِينَ.

وُلِدَ كَعْبٌ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، بِسِتٍّ وعِشْرِينَ سَنَةً، وَأَسْلَمَ وَعُمْرُهُ سِتٌّ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

وُلِدَ كَعْبٌ فِي أُسْرَةٍ عُرِفَتْ بِالشَّجَاعَةِ وَاشْتَهَرَتْ بِالشِّعْرِ، إِذْ كَانَ أَبُوهُ مَالِكٌ شَاعِراً فَارِساً شُجَاعاً، أَبْدَى كَثِيراً مِنْ فُنُونِ الفُرُوسِيَّةِ فِي حَرْبِ «بُعَاث» الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ سُكَّانِ يَثْرِبَ مِنَ

الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ قُبَيْلَ انْتِشَارِ الإِسْلاَمِ بَيْنَ الأَنْصَارِ، وَكَانَ مَالِكٌ ذَا سَعَةٍ وَيَسَارٍ.

نَشَأَ كَعْبٌ وَحِيداً لأَبِيهِ فَكَانَ مُرَفَّهاً مُنْعَماً، تَعَلَّمَ القِرَاءَةَ والكِتَابَةَ وَهُمَا أَمْرٌ نَادِرٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ، كَمَا عَرَفَ الحِسَابَ، وَفُطِرَ عَلَى الشِّعْرِ.

وَكَانَتْ أُمُّهُ لَيْلَى بِنْتُ يَزِيدَ بن ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ أَيْضاً، لَهَا مَكَانَتُهَا فِي عَشِيرَتِهَا وَلَهَا مَرْكَزُهَا بَيْنَ بَنِي سَلَمَةَ.

تَزَوَّجَ كَعْبٌ إِحْدَى بَنَاتِ بَنِي سَلَمَةَ وَهِيَ عُمَيْرَةُ أُمُّ مَعْبَدٍ بِنْتُ جُبَيْرِ بن صَخْرٍ فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ، الَّذِي كَانَ قَائِدَ أَبِيهِ عِنْدَمَا كُفَّ بَصَرُهُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ، وفضَالَةَ، ووَهَباً، وَمَعْبَداً مِنَ الذُّكُورِ، وَخَوْلَةَ، وَسُعَادَ مِنَ الإِنَاثِ. وَقَدْ أَسْلَمَتْ عُمَيْرَةُ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وَرَوَتْ بَعْضَ حَدِيثِهِ.

وَتَزَوَّجَ كَعْبٌ أَيْضاً (خَيْرَةَ)، وَقَدْ رَوَتْ بَعضَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم. وَتَزَوَّجَ فَتَاةً مِنَ اليَمَنِ تُدْعَى «صَفِيَّةَ» وَوَلَدَتْ لَهُ «كَبْشَةَ». وَتَزَوَّجَ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، وَرَوَى ابْنُ الأَثِيرِ لَهَا حَدِيثاً فِي إِنْشَادِ الشِّعْرِ فِي المَسْجِدِ.

وَكَانَتْ لَهُ عِدَّةُ أُمَّهَاتِ لأَوْلاَدٍ. أَنْجَبَتْ لَهُ إِحْدَاهُنَّ وَلَدَاً سُمِّي «عَبْدَ الرَّحْمَنِ».

كَانَ كَعْبٌ يُكَنَّى فِي الجَاهِلِيَّةِ بِأَبِي بَشِيرٍ، فَكَنَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، (أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) بِاسْمِ ابْنِهِ الكَبِيرِ.

إِسْلاَمُ كَعْبٍ

عَاشَ كَعْبٌ فِي يَثْرِبَ سِتَّاً وَعِشْرِينَ سَنَةً قَبْلَ إِسْلاَمِهِ حَيَاةَ نَعِيمٍ وَرَفَاهٍ، وَلَمَّا شَبَّ بَدَأَ يَنْظِمُ الشِّعْرَ، وَمُعْظَمُهُ فِي الفَخْرِ. إِذْ كَانَ يَرَى كَمَا يَرَى أَهْلُ يَثْرِبَ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَنَّهُمْ مِنَ الحَيِّ اليَمَانِيِّ مِنَ الأَزْدِ، وَقَدْ هَاجَرُوا مِنْ مَوْطِنِهِمُ الأَوَّلِ عِنْدَ خَرَابِ سَدِّ مَأْرِب فَتَوَزَّعُوا فِي البِلاَدِ وَمِنْهُمُ الغَسَاسِنَةُ فِي الشَّامِ، وَالمَنَاذِرَةُ فِي العِرَاقِ، وَالأَزْدُ فِي عُمَانَ، كَمَا يَرَى هَذَا الحَيُّ مِنَ الأَزْدِ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ أَنَّ الغَسَاسِنَةَ أَكْثَرُ قُرْبَىً لَهُمْ مِنَ المَنَاذِرَةِ لِذَا كَانَ مَدْحُهُمْ لآلِ غَسَّانَ أَكْثَر بَلْ يَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ فِرْعَاً مِنْهُمْ، فَنَرَى كَعْبَ بنَ مَالِكٍ يَقُولُ فِي هَذَا:

وَغَسَّانُ أَصْلِي وَهُمْ مَعْقِلِي
فَنِعْمَ الأَرُومَةُ والمَعْقِلُ